المبدأ 12

مع الغياب الزائد..يزداد الشوق؟!

المغزى:

في أحوال عديدة «يلصق» ذوو المناصب في مواقعهم مدة أطول مما هو مرحب به، فيشعر جمهورهم بالملل، ويفتقدون احترام الناس لهم، لأنهم لم يدركوا «دبلوماسية الانسحاب المؤقت» واستخدامه بطريقة صحيحة، لم يتقنوا فن الغياب بالوقت المناسب، ولم يُحسنوا الظهور اللائق بعد طول انتظار في الوقت الملائم. إذ كلما زادت مشاهدة الناس لأحدهم وسماعهم له كلما ظهر مبتذلاً أكثر من اللازم، بينما نجد أولئك الذين يُحسنون الابتعاد عن الأضواء (يعرفون متى يغادرون ومتى يعودون) يزداد الحديث عنهم، والشوق إلى سماعهم، وحتى الانبهار بطلاتهم النادرة.

في لعبة الغياب والظهور لا ينبغي للقوي أن يغيب أكثر من المفترض كي لا يُنسى وكي لا يخف وهج التوق إليه. بل عليه أن يتكتك للحضور المرتقب أو المفاجئ بين الحين والآخر الذي من شأنه أن يجذب الانتباه ويقوي النفوذ، ثمة كيفية مهمة هنا تتلخّص بمعرفتك كيف تنسحب في اللحظة المناسبة قبل أن يطردك الناس على نحو لا شعوري... ومعرفة متى ينبغي العودة حيث ظهورك أصبح مطلوباً. اجعلها كلعبة الاختفاء والبحث التي يلعبها الصغار في مرح.

المثال

ما تقدم، هو ما لم تدركه نورا إزاء شريك حياتها ياسر حيث تزوجا عن قصة حب كانت قائمة على اتفاق ودفء مشاعر. غرقا منذ سنة زواجهما الأولى في مشاكل الحياة ومتطلباتها إلا أنهما تغلّبا عليها بالإصرار على النجاح والمضي قدماً في مسيرة حياتهما الزوجية المتطلبة لكل دعائمها من تأمين مسكن وأثاث ومطالب جمة، دون أن يكون بمقدورهما أن يستريحوا.. إلى أن جاء ياسر ذات يوم وأعلم نورا عن رغبته في السفر بعيداً لقضاء إجازة وحده، فاندهشت نورا من طلبه هذا وأخذت تتساءل: لماذا؟ وكيف؟ و...و...؟ دون أن يقدم سبباً وجيهاً أو تفسيراً لما يود أن يقوم به، فقط مجرد كلمات: أريد أن أستريح لبعض الوقت!! رفضت نورا فكرته، ومذ ذاك بدأت التوترات والخصام والاكتئاب يخيم على

علاقتهما، فعبء الحياة ـ برأي نورا ـ لم يكن عليه وحده بل شاركته فيه إحساساً ومسؤولية، وحاولت شرح وجهة نظرها بأن رصيد الحياة هو ذكريات ولكي تكون الذكريات جميلة ينبغي أن تكون مشتركة، وليس صحيحاً أنه باستطاعة الإنسان أن يستمتع لوحده، بل المتعة تصبح أجمل عندما يكتشفها اثنان ويعيشاها معاً.

مجرد أن أعلن ياسر عن رغبته قضاء بعض الوقت منفرداً إلى ذاته في عالم آخر، حتى أصبحت القضية وكما يقول «خيانة».. بينما ما يهدف إليه هو تجربة حياة من نوع آخر، أن يبتعد كل منهما عن الآخر ليزداد الشوق إليه، ليتحسسا متعة اللقاء بعد الفراق، فمنذ زواجهما وهما لم يفترقا، فلا بأس بتكتيك معين لتجديد الحب عبر افتراق، قد يكون من الصحي أن يبتعد كل من الزوجين أحدهما عن الآخر كي يجربا الحياة بعيداً عن بعضهما البعض، يراجع كل منهما مواقف اجتازوها معاً واختلافات حدثت... فالأشياء لا تتحدد إلا بأضدادها كما يقولون: النور لا تعرف قيمته إلا إذا عشت الظلمة، من هنا يأتي «البعد» كتجربة تجديد في الروتين الزوجي، وله دوره وإسهامه في أن يجعل العلاقة تستمد من خلاله حيويتها.. وحينئذٍ يصبح للذكريات معنى، وللمشاعر الإنسانية أبعادها الرقيقة، ودفئها العابق، لأن الزواج كلعبة السياسة تستلزم ذكاء، مناورة، كر وفر، وانسحاب مؤقت.

الملخص:

نحن لا نعرف قيمة الشيء إلا حين نفتقده، ولا يمكن تقدير أهمية موجود إلا عن طريق غيابه، فالشمس مثلاً لو بقيت طوال اليوم على مداره، لملّها الناس لهذا يبقى لغروبها وداع فيه رجاء، ولشروقها سلام فيه ابتسام.

المرادف:

- إن الغياب يُنقص العواطف الصغيرة ويلهب العواطف الكبيرة، كما تطفئ الريح الشمعة وتلهب النار.

(لاروشفوكو)

- من يداوم على رذيلة واحدة أنجبت له رذائل عديدة.

(رئيس أمريكي سابق)

- في بعض الأحيان لا بد لك من لزوم الصمت كي يسمعك الآخرون.

(باحث في التواصل الاجتماعي)

▪ ▪ ▪